

أضواء البيان

@ 387 @ بالنفخ في الدرع الذي وصل إلى الفرج ، فصار بسببه حملها عيسى . وبين تعالى في سورة (التحريم) أن هذا النفخ في فرجها في قوله تعالى : { وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْضَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا } . والضمير في قوله (فيه) راجع إلى فرجها ولا ينافي ذلك قوله تعالى في (الأنبياء) : { وَالَّتِي أَحْضَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُّوحِنَا } لأن النفخ وصل إلى الفرج فكان منه حمل عيسى ، وبهذا فسر الزمخشري في الكشاف الآية . .

وقال بعض العلماء : قول جبريل { رَبِّكَ لَا هَبَ لَكَ { حكاية منه لقول الله جل وعلا . وعليه فالمعنى : إنما أنا رسول ربك ، وقد قال لي أرسلتك لأهب غلاماً . والأول أظهر . وفي الثاني بعد عن ظاهر اللفظ . وقال بعض العلماء : جعل الهبة من قبله لما كان الإعلام بها من قبله . وبهذا صدر القرطبي في تفسيره . وأظهرها الأول : والعلم عند الله تعالى . قوله تعالى : { قَالَتِ أَنْزِلْنِي بِكُؤُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بِغَيْبًا } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن مريم لما بشرها جبريل بالغلام الزكي عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام قالت : { أَنْزِلْنِي بِكُؤُونُ لِي غُلَامٌ } أي كيف ألد غلاماً والحال أنني لم يمسنني بشر . تعني لم يجامعني زوج بنكاح ، { وَلَمْ أَكُ بِغَيْبًا } ، أي لم أكن زانية . وإذا انتفى عنها مسيس الرجال حلالاً وحراماً فكيف تحمل . والظاهر أن استفهامها استخبار واستعلام عن الكيفية التي يكون فيها حمل الغلام المذكور ، لأنها مع عدم مسيس الرجال لم تتضح لها الكيفية . ويحتمل أن يكون استفهامها تعجب من كمال قدرة الله تعالى ، وهذا الذي ذكر الله جل وعلا عنها : أنها قالت ههنا ذكره عنها أيضاً في سورة (آل عمران) في قوله تعالى : { إِذْ قَالَتِ الْوَمَلَاءُ لَكَايَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بَكْلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَرَّةٍ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتِ رَبِّي أَنزَلْنِي بِكُؤُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ } . واقتصارها في آية (آل عمران) على قولها { وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ } يدل على أن مسيس البشر المنفي عنها شامل للمسيس بنكاح والمسيس بزنى . كما هو الظاهر . وعليه فقولها في سورة (مريم) : { وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ } وَلَمْ أَكُ بِغَيْبًا { يظهر فيه أن قولها (ولم أكن بغياً) : تخصيص بعد تعميم . لأن مسيس البشر يشمل الحلال

